الحمدُ للهِ مُستحقِّ الحمدِ في كُلِّ زمانٍ ومكانٍ، والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلى سيِّدِ ولدِ عدنانَ، وعلى آلِهِ وأصحابِهِ أهلِ الفضلِ والإحسانِ.

وبعد،،

فَإنَّ الإمامَ العَلَّامَةَ أبا الحَسَن عليَّ بنَ مُحمدَ بنَ حبيب المعرُوف بـ«الماوردي» مُؤلفَ هَذَا الكِتَاب، وَاحِدٌ مِنْ أَعْلَامِ الفِكْرِ الإِسْلَامِيّ، وفَقيهٌ مِنْ كبارِ رِجَالَاتِ الفِقْهِ الدُّسْتُوري، ورَجُلٌ مِنْ أبْرَزِ عُلَمَاءِ السِّيَاسَةِ، وأدِيبٌ فَاقِهٌ نَاضِجُ الفِكْرِ قَوِيُ الأسْلُوبِ، بَلْ وتَرْبَويٌّ ثِقَةٌ شَغَل الزمَانَ بفكْرِهِ التربَويِّ، ونَظَرياتِه التي سَبَقَ بِهَا عَصْرَهُ وزَمانَهُ.

لم يَكُنْ هَذَا الكَلامُ مُرْسَلًا، فَقَدْ شَهِدَتْ مُؤلَفَاتُ الرجُلِ بالذي ذكرنَاهُ، وقَامَتْ الدِّرَاسَاتُ الأكاديمية المُتَخصِّصَة بدراسَةِ كُتُبِه ونَظرياتِه في فُرُوعِ الثقَافَةِ المُخْتَلِفَةِ، وأشَادَت بِعَقْلِيَتِه وعبقريَّتِه، فَمِنَ البَاحثِينَ من كَتَبَ عَنْ فِقْهِهِ الدستُوري مِنْ خِلَالِ كتابِه «الأحْكَام السُّلْطَانية» ومِنْهُم مَنْ تَناوَلَ فكرَهُ السياسي من خِلالِ كتابِه «قوَانين الوزارة وسياسَةِ المُلْكِ» وكتابِه «أدب القَاضِي»، ومِنْهُم مَنْ بَحَثَ في كتابه «تسهيل النظر وتعجيل الظَّفَر» في أنواعِ الحكومات، وكذلك في كتابِه «نَصِيحَةُ الملُوكِ». أما الذينَ تَنَاوَلُوا أدَبَهُ ونَظرِيَاتِه التربويَّة، فقد دَرَسُوا كتابه «الأمْثَالَ والحِكَمَ» وكتابَهُ الذي بينَ يديك «أدَبُ الدنْيَا والدِّين».. والذي سَنُفْرِدُ لَهُ حديثًا مُوجزًا بَعْدَ قليل.

لقدَ عاشَ العلامَّةُ الماوردي حَيَاةً امْتَدَّتْ بَيْنَ سَنَتي «٣٦٤هـ و٤٥٠هـ» مُعَاصِرًا الثَّقافَةَ الإسلاميَّةَ في أزْهَى عُصُورِها، حَيْثُ بلغَتِ الدَّوْلَةُ العبَّاسيَّةُ دَرَجَةً عاليةً مِنَ الرُّقيِّ العِلمِّي، وظَهَرَ فيهَا كثيرٌ مِنَ العُلماءِ الذينَ جَمَعُوا ثِمَارِ الثقَافَاتِ المختلِفَةِ، ومَزَجُوا بَيْنَ العَناصِرَ الإسلامية، ومَا صَار إلى المسْلمينَ مِنْ تُراثِ الأُمَمِ القديمَةِ، ومَعْلُومٌ أنَّ قِراءَةَ تُراثِ الثقافاتِ الأُخْرَى يُوَسِّعُ المدارِكَ، ويَجْعَلُ العَالِمَ مُتَنَوِّعًا في إنْتَاجِهِ الفِكْرِيِّ، وهَذَا هُوَ الذي حَدَثَ معَ عالِمنَا «المَاوَرْدِي» الذي كَتَب في «النحو، والأدَبِ، والفَلسَفَةِ، وعُلُومِ الاجتماعِ، والفقهِ الشافِعيِّ، والدستوري».

وَزَادَ مِنْ ثقافَتِهِ تِلْكَ المشارَكَةُ الفعَّالَةُ في الحياةِ العَمليَّةِ حَتَّى وَصَلَ إلى مَنْصِب قَاضِي القُضَاةِ.

ثناءُ العُلَماءِ عَلَيْه:

لَقَد أثْنَى العُلَمَاءُ على «الماوردي»، ومَنَحُوهُ ما يَسْتَحِقُّ مِنَ الإنْصَافِ، فوصَفَهُ «تَاجُ الدِّين السُّبْكي.. في طبقاتِ الشَّافعيَّةِ» بِقَوْلِهِ: «عليُّ بن مُحمد بن حبيب المَاوَرْدِي، الإمَامُ الجَليلُ القَدْرِ، الرَّفيعُ المِقْدَارِ والشَّأنِ، كانَ إمَامًا جَليلًا، لَهُ اليَدُ الطولَى البَاسِطَةُ في المذهَبِ، والتَّفَنُّنِ التَّام في سائِرِ العُلومِ»[1].

وقال ابنُ خَلِّكَان: «كانَ مِنْ وُجُوهِ الفُقَهَاءِ الشَّافعيَّةِ وكِبارِهم، وكانَ حافِظًا للمذْهَبِ، وَلَهُ فيهِ كتابُ «الحَاوي» الذي لمْ يطالعهُ أحدٌ إلا شَهِدَ لَهُ بالتبحُرِ والمعرفَةِ التَّامةِ بالمذهَبِ»[2].

أمَّا أبُو إسحَاقِ الشيرَازِي فيذْكُرُ أنَّهُ: «دَرَّسَ العلومَ بالبَصْرةِ وبغدادَ سِنينَ كَثيرة، في الفقْهِ، والتفسيرِ، وأصُولِ الفقهِ، والأدَبِ»[3]. ولا شَكَّ أنَنَا لَو وَضعْنَا ثَنَاءَ العُلَمَاءِ لَطَالَ بِنَا المقَامُ، وليسَ هَذَا بَمَوْضِعِ الإطَالَةِ لأنَّنا نُقَدِّمُ لِكتَابٍ مِنْ مؤلفاتِهِ مِمَّا يوجب الإيجاز، فلنقف الآن مع كتابِهِ «أدَبُ الدنيا والدين».

وقفةٌ مع كتاب أدب الدنيا والدين

يُعَدُّ هَذَا الكِتَّاب أبْرَزَ كُتُبِ «المَاوَرْدِي».. التي توضِّحُ فِكْرَهُ التربويَّ، ونظريَّاتِهِ العِلميَّةِ التي تَوصَّلَ إليهِ مِنْ خِلالَ دِرَاسَاتِهِ، ومُخْطِئ مَنْ توهَّمَ أنَّهُ كِتَابُ مَواعِظَ ورقائِق.

صحيحٌ أن الكِتابَ بُنِيَ في مادَّتِهِ على الآياتِ والأحاديثِ والحِكَمِ والأمْثَالِ، والأدَبِ نَثْرًا وشِعْرًا، إلا أنَّ النَّاظِرَ في الطريقةِ والأسْلُوبِ واللغَةِ يُوقِنُ أن الهَدَفَ التربويَ والمنهَجَ التعليميَّ هُوَ المقْصُود والمراد.

فمثلًا: عِنْدَمَا تحدثَ عن فَضْلِ العَقْلِ وذَمِّ الهوى، فإنَّهُ لم يتحدث كواعِظٍ يرقِّقُ القلوبَ ويأخُذُ بمجامِعَهَا، وإنَّما دقَّقَ على أهميةِ إعْمَالِ العَقْلِ والفِكْرِ دُونَ إغْفَالٍ لدَوْرِهِ وأهمية اجتهادِهِ وعندما تناوَلَ «أدَبَ العِلْمِ» حَذَّرَ الطالِبَ من مُتابَعَةِ المعَلِّمِ دُونَ مناقَشَةٍ، لأنَّهُ لو حَدَثَ هَذا لأفْضَى بالمتعلِّمِ إلى التقليدِ فيصيرُ المُتعَلِّمُ مُقَلِّدًا، ومِنْ ثَمَّ تَتوقَّفُ عِنْدَهُ مَلَكَةُ الإبداع، ولا شَكَّ أن هَذَا مِنْ أهَمِّ

(١) انظر طبقات الشافعية للسبكي ٣/ ٣٠٣. (٢) انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ١/ ٣٢٦.
(٣) انظر طبقات الشافعية للشيرازي ص ٢١٨.

عَوامِلِ الخَلَلِ مِنَ الناحيةِ التربويةِ وقَدْ دَلَّلَ بَعْضُ الباحثين عَلَى كَوْنِ الكِتَابِ تَرْبويًا من الدرجَةِ الأولى، عُنوانُهُ «أدَب»، وَهِيَ تدلُّ عَلىَ التهذيب، وتَحمِلُ مَعْنَى التربية، وتأتي الأخلاقُ والدعوةُ إليهَا في ثنايا التربيةِ مِنْ اهْتِمامَاتِهَا، وهي تَنْفي كَوْنَهُ كِتَابَ وَعْظٍ وإرشَادٍ. ثمَّ إنَّ أبحاث الكتاب تَجْعَلُ الباحِثَ يُوقِنُ بعَظَمَةِ الفِكْرِ التَّربويِّ الذي تَنَاوَلَهُ «الماوَرْدِي» بهذهِ الطريقةِ العملاقةِ. ولعَلَّ هَذا مِمَّا دَفَعَ علماء التربيَةِ في القرنِ الماضِي وما سَبَقَهُ بأن قرَّرَتْهُ وزارةِ المعارِفِ آنذاك على تلاميذِ المدارس الثانوية، وطِبعَ في المطبعةِ الأميريَّة طبعَةً خاصَّةً، بعدما حَذَفَت مِنْهُ بَعْضَ عِبَارَاتٍ لَا تُلائِمُ أولئك الذينَ كانُوا يتمرنونَ على المطالعَةِ زد عَلى ذلك أن بعض الكُلِّيَّاتِ كَلَّفَتْ بَعْضَ الباحثين المختصين في المجال التربوي بدراسة الفكر التربوي للماوردي من خلالِ كتابه «أدبُ الدنيا والدين» وكانت خلاصَةُ الدراساتِ أن الماوردي مَعْدُودٌ مِنْ عُلمَاءِ التربية في الحضارة العربية الإسلامية.

طبعات الكتاب

طُبِعَ كتابُ «أدب الدنيا والدين» طبعات متعددة، كان من أبْرَزِهَا الطبعَةُ التي تَناولَهَا الأستاذ العلامَةَ «مصطفى السَّقا» والتي عَبَّرَ عَنها بقوله: «الرغْبَةُ في تجديد الكتاب».

وقَدْ اعتمدَ فِيهَا على نُسْخَةَ مخطوطة بدار الكتب رقم «١١٨ تصوف» وتكادُ هذه الطبعة أن تكونَ بعيدةً عن يد الباحثين والقُّراء لنفادِها وندرة وجودها.

وقَدْ وُجِدَتْ طَبَعاتٌ أُخرَى كَثيرَةٍ فِيها تَصحيفٌ وتَحريفٌ، مِمَّا دَعَانَا للبَحثِ عَنْ أصُولٍ خطية غير نسخة الأستاذ «السقا» ووفقنا اللهُ للحُصُولِ عَلى نُسْخَتَيْنِ خطيتين.

* إحداهما: برقم ٧٧٨ أدب تيمور، وهي مَضبوطَةٌ ومُشَكَّلَة.

* والثانية: نسخة كتبت سنة ٨٠١هـ وعدد أوراقها ١٧٠ ورقة، وهي جيدة ونفيسة، لكنها مضطربة الترتيب، وقد أفادت في بعض المواضع.

وقد أفادتنا نسخة الأستاذ «السقا» رحمه الله في كثير من المواضع.

كما أفدنا من كتاب «مِنْهَاج اليقين شرح أدب الدنيا والدين» للأرزنجاني وهو مطبوع سنة ١٣٢٨هـ.

عملي في الكتاب

* أولًا: قَدَّمْتُ له بِدَرَاسَةٍ مُوجَزة توضِّحُ أهمية الفِكْر التربوي عندَ الإمامِ المَاوَرْدِي.
* ثانيًا: ضبطتُ نصَّ الكتابِ لا سيما الأحاديثَ والأشْعَارَ والحِكَم.
* ثالثًا: خرجْتُ الأحاديث بإيجاز.
* رابعًا: عَرفَتُ ببعض الأعلام بكلمة مختصرة.
* خامسًا: وضَعْتُ تفسيرًا لمعاني بعض الكلمات الغامضَة.
* سادسًا: بَنَى الماوردي كتابَهُ على خمسة أبواب، وهذا هو الواضِحُ في كُلِّ المخطوطات؛ إلا أن طبعة «التوفيقية» جعلت باب «أدب المواضعة والاصطلاح» بابًا سَادِسًا، رَغْمَ ارتباطِهِ بالباب الخامس وِفْقًا لمخطوطات الكتاب، ومِنْ ثَمَّ لا يوجد بابٌ سادس، فنبهنا على ذلك.

سائلًا الله الهداية والتوفيق، إنه وليُّ ذلك والقادِرُ عليهِ وهُوَ حَسْبي ونِعْمَ الوكيلُ.

عادل عبد المنعم أبو العباس

صورة المخطوط

صورة النسخة (أ)

١١٨
أ.م أدب الدنيا والدين ، تأليف علي بن محمد ، ابي الحسن الماوردي سنة ٤٥٠هـ. كتب سنة ٨٠١هـ.
١٧٠ ق ٣٠ س ٢٤٫٥×١٦٫٥ سم
١٠٩٤ نسخة جيدة ، نفيسة ، خطها نسخ ناضج ، مصطرة الترتيب. طبع .
معجم المؤلفين ٧ : ١٤٩ ، دار الكتب المصرية ١ : ٦٣
١ ـ الشعائر والتقاليد والاخلاق الاسلامية
أ ـ الماوردي ، علي بن محمد ـ ٤٥٠هـ بعد تاريخ النسخ .

عنوان مخطوطة جامعة الملك سعود

الصفحة الأخيرة

الصفحة الأولى من النسخة ج من المخطوط

قال القاضي[1] أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي - رحمه الله تعالى:

الْحَمْدُ للَّهِ ذِي الطَّوْلِ[2] والآلَاءِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ الرُّسُلِ والْأَنْبِيَاءِ، وعَلَى آلِهِ وأَصْحَابِهِ[3] الْأَتْقِيَاءِ.

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ شَرَفَ المَطْلُوبِ بِشَرَفِ نَتَائِجِهِ، وَعِظَمِ خَطَرِهِ[4] بِكَثْرَةِ مَنَافِعِهِ، وبِحَسَبِ مَنَافِعِهِ تَجِبُ الْعِنَايَةُ بِهِ، وعَلَى قَدْرِ الْعِنَايَةِ بِهِ يَكُونُ اجْتِنَاءُ ثَمَرَتِهِ، وأَعْظَمُ الْأُمُورِ خَطَرًا وقَدْرًا وأَعُمُّهَا نَفْعًا وَرِفْدًا[5] مَا اسْتَقَامَ بِهِ الدِّينُ والدُّنْيَا وانْتَظَمَ بِهِ صَلَاحُ الْآخِرَةِ والْأُولَى؛ لِأَنَّ بِاسْتِقَامَةِ الدِّينِ تَصِحُّ الْعِبَادَةُ، وَبِصَلَاحِ الدُّنْيَا تَتِمُّ السَّعَادَةُ.

وَقَدْ تَوَخَّيْتُ بِهَذَا الْكِتَابِ الْإِشَارَةَ إِلَى آدَابِهِمَا، وتَفْصِيلَ مَا أُجْمِلَ مِنْ أَحْوَالِهِمَا، عَلَى أَعْدَلِ الْأَمْرَيْنِ مِنْ إِيجَازٍ وَبَسْطٍ أَجْمَعُ فِيهِ بَيْنَ تَحْقِيقِ الْفُقَهَاءِ، وتَرْقِيقِ الْأُدَبَاءِ، فَلَا يَنْبُو[6] عَنْ فَهْمٍ، وَلَا يَدِقُّ فِي وَهْمٍ[7]، مُسْتَشْهِدًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ - جَلَّ اسْمُهُ - بِمَا يَقْتَضِيهِ، وَمِنْ سُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ - بِمَا يُضَاهِيهِ، ثُمَّ مُتْبِعًا ذَلِكَ بِأَمْثَالِ الْحُكَمَاءِ، وآدَابِ الْبُلَغَاءِ، وأَقْوَالِ الشُّعَرَاءِ؛ لِأَنَّ الْقُلُوبَ تَرْتَاحُ إِلَى الْفُنُونِ الْمُخْتَلِفَةِ وتَسْأَمُ[8] مِنَ الْفَنِّ الْوَاحِدِ.

وَقَدْ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ: إِنَّ الْقُلُوبَ تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ الْأَبْدَانُ فَاهْدُوا إِلَيْهَا طَرَائِفَ الْحِكْمَةِ.

---

(١) في نسخة «ج» قال أقضى القضاة.
(٢) الطَّوْل: الغنى والجود.
(٣) في نسخة «ج» وصحابته.
(٤) خطره: شرفه وقدره.
(٥) الرفد: المنح والعطاء.
(٦) لا ينبو: لا يبعد، يقال: نبا عن الشيء، ابتعد عنه.
(٧) والمعنى أنه لا يخفى ولا يغمض في ظن وتقدير.
(٨) السأم: الكلل والملالة.

[فَكأنَّ هَذَا الأَسْلُوبَ، يُحِبُّ التَّنَقُّلَ فِي المَطْلُوبِ، مِنْ مَكَان إِلَى مَكَان][1] وَكَانَ المَأْمُونُ[2] - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - يَتَنَقَّلُ كَثِيرًا فِي دَارِهِ مِنْ مَكَان إِلَى مَكَان وَيُنْشِدُ قَوْلَ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ[3]:

لَا يُصْلِحُ النَّفْسَ إِذَ كَانَتْ مُدَبِّرَةً ... إِلَّا التَّنَقُّلُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالِ

وَجَعَلْتُ مَا تَضَمَّنَهُ هَذَا الْكِتَابُ سِتَّةَ أَبْوَاب:

* الْبَابِ الأَوَّلِ: فِي فَضْلِ الْعَقْلِ وَذَمِّ الْهَوَى.
* الْبَابِ الثَّانِي: فِي أَدَبِ الْعِلْمِ.
* الْبَابِ الثَّالِثِ: فِي أَدَبِ الدِّيْنِ.
* الْبَابِ الرَّابِعِ: فِي أَدَبِ الدُّنْيَا.
* الْبَابِ الخامِسِ: فِي أَدَبِ النَّفْسِ.
* الْبَابِ السَّادِسِ: فِي الْمُوَاضَعَةِ والاصْطِلَاحِ.

وَإِنَّمَا أَسْتَمِدُّ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى حُسْنَ مَعُونَتِهِ، وأَسْتَوْدِعُهُ حِفَاظَ مَوْهِبَتِهِ، بِحَوْلِهِ ومَشِيئَتِهِ، وَهُوَ حَسْبِي مِنْ مُعِينٍ وَحَفِيظٍ.

---

(١) ما بين المعكوفين [ ] ساقط من «ج».
(٢) هو الخليفة المأمون بن هارون الرشيد توفى سنة ٢١٨هـ انظر فوات الوفيات ٢/ ٢٣٥.
(٣) انظر ديوان أبي العتاهية صفحة ٤٤٦ وفيه لن يُصْلَح النفسَ بدل لا يُصْلِحُ النفس.